جامعة المولى إسماعيل
كلية الآداب والعلوم الإنسانية
مكناس

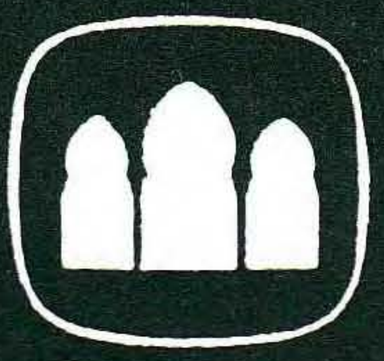

# اللسانيات واللغة العربية
## بين النظرية والتطبيق

4
سلسلة الندوات

1992

جامعة المولى إسماعيل
كلية الآداب والعلوم الإنسانية
مكناس

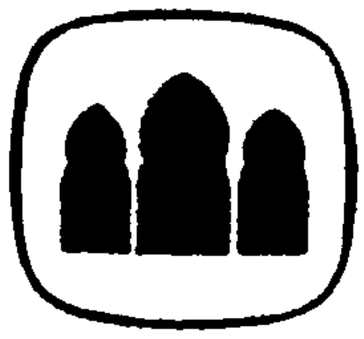

# اللسانيات العربية
# بين النظرية والتطبيق

سلسلة الندوات
4

# مفهـــوم النموذج اللساني
# وشروط بنائـــه

عزالدين البوشيخي
كلية الآداب - مكناس

## تقديـــــم

أصبو في هذا العرض الى إبراز دور النمذجة في صياغة الأنحاء المعاصرة وتحديد أبعادها النظرية والمنهجية .

لبلوغ هذا الهدف ، سأقوم بالتدقيق في مفهوم النموذج النحوي وفي مكوناته وفي شروط بنائه . ثم سأعمل على تحديد علاقة النموذج النحوي بالنظرية اللسانية والبرنامج العلمي ، كما سأسعى إلى تحديد بعض البرامترات التي تتدخل في تحديد تنوع هذه النماذج وتعددها .

وفي الاخير ، سأستخلص أهم النتائج والاقتضاءات خاصة تلك التي تكتسي دلالة في البحث اللساني العربي .

في قانون علوم المعرفة المعاصرة أصبحت استراتيجية البحث العلمي تقوم على أساس :

- وضع برامج علمية
- وبناء نظريات تفسيرية
- وإقامة نماذج تمثيلية داخل هذه النظريات

وغدا النزوع الى التجريد والصورنة وإلى الامثلة والنمذجية السمة الغالبة على هذه الاعمال .

وإذاكان البرنامج العلمي يتكفل برسم الاهداف البعيدة والاهداف المرحلية ، ويوضح الافكار الموجهة وخطة العمل ، وبتحديد الوسائل

والامكانات المعتمدة ... ، فإن من مهام النظرية أن تحدد موضوع البحث وأن تقيم نموذجا يمثل لهذا الموضوع ، ويستجيب للمتطلبات الصورية والتمثيلية والتجريبية .

فلم يعد نجاح الاعمال العلمية رهينا بوفرة الافكار والتأملات الحرة من كل قيد ، أوبشمول الاستقراء واللصوق بالوقائع ، بل "إن مضمون العمل التنظيري أصبح يقتضي بناء آلات ونماذج صورية ... يفترض فيها أن تكون ملبية للحاجة التجريبية ".(1)

لننقل إذن عنايتنا الى ميدان اللسانيات ، ولنرفع الى الواجهة الاسئلة الآتية :

- ما هو مفهوم النموذج اللساني ؟
- ماهي علاقته بالنظرية اللسانية ؟
- وفي إطار أي برنامج علمي يندرج هذا النمط من النظريات ؟

لنبدأ ، أولا ، بتحديد معالم البرنامج العلمي كما رسمه رائد الثورة اللسانية الحديثة .

لقد أقام تشومسكي خطة للبحث في الطاقات المعرفية البشرية ، وفي البنيات الذهنية التي تعد وسائل ممارستها مفترضا أن الدراسة التجريدية للطاقات الثقافية البشرية ولوظائفها هي دراسة للعقل على الرغم من غياب أي دعم أنطلوجي إضافي للاحالة على العقل .(2)

ويستند هدا المشروع في قاعدته الفلسفية الى التساؤل الذي وضعه أفلاطون وأعاد صياغته برتراند راسل كما يلي :

« كيف أمكن للمخلوقات البشرية أن تعرف كل ماتعرفه رغم أن اتصالها بالعالم قصير وشخصي ومحدود ؟ » (3)

على هذا الاساس ، تساءل تشومسكي عن الميادين التي يطور فيها الانسان بنيات ثقافية معقدة انطلاقا من معطيات محدودة . وانشغل من بين تلك الميادين بميدان اللغة البشرية بما أنها "مرآة للعقل" حسب التعبير التقليدي . فدراسة الانساق المكتسبة من أهم السبل المؤدية إلى فهم الطبيعة البشرية ، و«استراتيجية البحث المعقولة والوحيدة ، كما أتصورها حتى الآن هي دراسة الانساق الخاصة وتفاعلها » .(5) واللغة هي أهم هذه الانساق . إذ تكتسي دراستها أهمية ثقافية قصوى ، لكونها ميدانا معقدا قابلا للدراسة ، وخاصية مميزة للجنس البشري ، ولكونها أخيرا ترتبط بكل مظاهر الحياة الانسانية (6) .وحددت أهداف البحث في اكتشاف مبادىء كلية تحكم بنية اللغة واستعمالها ، وفي فهم

خصائص العقل البشري النوعية .

لبلوغ هذه الأهداف ، افترض تشومسكي أن كل فرد يعرف لغته ، وأن هذه المعرفة مشتركة بين بني البشر ، وأنها ممثلة في عقولهم ، وأن هذا التمثيل كامن في صورة المعرفة النحوية التي يمكن تحليلها من خلال بنية من القواعد والمبادئ والتمثيلات . ف « النحو المسند الى المتكلم هو تمثيل (أي نموذج) لمعرفته اللغوية » .

وبناءا عليه ، عد كل تقدم في فهم المعرفة النحوية تقدما في فهم العقل ، كما عدت كل نظرية نحوية جزءا من نظرية شاملة للعقل البشري . فالهدف البعيد هو« إقامة نظرية للطبيعة البشرية في مظاهرها السيكولوجية » .

كل ذلك يؤكد أن مشروع تشومسكي يندرج في إطار « برنامج عقلاني يراهن منذ ليبنز على إقامة مجموعة من القواعد الصورية التي ينبغي أن يخضع لها عالم البنيات الممكنة» .

بعد رسم معالم البرنامج العلمي ؟ ، أقام تشومسكي نظرية لتحقيق هذا البرنامج أو جزء منه على الأقل ، حدد موضوعها الأساس في وصف قدرة المتكلم اللغوية . وبذلك تحول الاهتمام من دراسة السلوك اللغوي الفعلي الى دراسة نسق المعرفة اللغوية المكتسبة وتمثيلها الداخلي في الذهن . وأصبح الهدف هو اكتشاف التمثيلات الذهنية التي تكمن وراء إنتاج الكلام وفهمه ، والبحث في القواعد التي تربط وقائع الكلام الفيزيائية بهذه التمثيلات الذهنية التي تتميز بالتجريد . الأمر الذي سنح بإثارة الأسئلة المركزية الآتية :

- مم تتكون المعرفة اللغوية ؟
- كيف يتم اكتساب هذه المعرفة ؟
- وكيف يتم استعمالها ؟

اقتضت الاجابة عن السؤال الأول بناء نحو توليدي عد بمثابة نظرية تتعلق بالحالة الذهنية للفرد الذي تمكن من معرفة إحدى اللغات الخاصة . واستدعت الاجابة عن السؤال الثاني إقامة نحو كلي وصف بأنه نظرية تتعلق بالحالة الأولى للملكة اللغوية قبل تمرسها بالتجربة في حين تحتاج الاجابة عن السؤال الثالث الى بناء نظرية توضح الكيفية التي يتم بها استعمال المعرفة اللغوية المكتسبة سواء في التعبير عن الفكر أم في التواصل أم في استعمالات خاصة أخرى .

ففي هذا التصور ، تعد الملكة اللغرية مكونا من مكونات العقل . ويفترض أن كل الكائنات البشرية تشترك في الحالة الأولى لهذه الملكة التي تعتبر - بهذا المعنى أيضا - جهازا لاكتساب اللغة . وعن طريق

الاحتكاك بالتجربة يتم الانتقال من الحالة الأولى إلى حالة قارة تتجسد فيها معرفة الفرد اللغوية بإحدى اللغات الخاصة .

ومن اقتضاءات هذا التحول اعتبار اللسانيات فرعا عن علم النفس المعرفي وعن البيولوجيا الانسانية ، بما أنها تهتم بالملكة اللغوية ومكونها النحوالكلي . وأصبح النحوالاكفى - تبعا لذلك -هو النحو الذي يتقيدبقيد الواقعية النفسية . فالانحاء التي يبنيها اللساني هي "أنحاء للقدرة " يفترض فيها أنها تمثل للمعرفة الداخلية التي تمكن المتكلم من فهم اللغةوإنتاجها، كما يفترض فيها أنها قابلة للاندماج في أي نموذج معقول للاستعمال اللغوي بصفتها أحد مكوناتها الاساسية .

وبما أن ملاحظة المعرفة اللغوية الداخلية ( أوالنحو الداخلي ) لايمكن أن تتم بصفة مباشرة ، فإنه لامناص من محاكاة هذا النحو ببناء نموذج يمثل له . وذلك بالإستناد في استنتاج خصائصه إلى وقائع تستمد من الأحكام اللغوية أو الاختيارات الكلامية المراقبة ...(11) .

فالاعتقاد السائد المشترك بين علوم المعرفة هو إمكان بناء نماذج تحاكي بعض مظاهر العقل البشري . فالنموذج إذن هو إحدى الوسائل الواردة لمحاكاة الموضوع الأصل ، ولربما كان أحيانا هو الوسيلة الوحيدة . ففي النشاط العلمي يتأكد فهمنا لظاهرة ما انطلاقا من قدرتنا على إعادة إنتاج هذه الظاهرة . والمحاكاة هي التي تسعفنا لتحقيق هذا الهدف ، سواء بواسطة نموذج عملي أو بواسطة نموذج تجريدي ، فالنموذج - بهذا المعنى - هو محاكاة تجريدية لأحد الموضوعات الأصل .

ومن أجل أن يكون النموذج واضحا ودقيقا فإنه لامناص من صورنته باستعمال لغة رياضية هي عبارة عن أنساق رمزية تامة الوضوح والدقة . حيث يكون لكل رمز تعريف ثابت وقيمة ثانية . وأحد ما تحققه الصورنة من أهداف هو إتاحة الفرصة لإقامة حساب استدلالي على ما تم تحقيقه (12) .

ومن الشروط المبدئية التي ينبغي مراعاتها أثناء إقامة النموذج النحوي صياغته بطريقة تعكس روح المبادىء الواردة في النظرية اللسانية التي ينتمي إليها . إذ ينبغي أن تكون هماك علاقة شفافية بين جوهر النظرية ونظرية التمثيل .

فالأنحاء التوليدية - مثلا - مطالبة بأن تعكس فرضية استقلال التركيب القاضية باستقلال التركيب عن الدلالة .

والأنحاء الوظيفية مطالبة - هي الأخرى - بأن تعكس فرضية أسبقية التداول على كل من الدلالة والتركيب (13) . وكل قصور في الكفاية التجريبية للنظرية التمثيلية يطعن في كفاية النظرية

اللسانية نفسها ، الشيء الذي يفسر - من جهة - تعدد النماذج النحوية داخل النظرية اللسانية الواحدة ، ويحمل هذه الأخيرة مسؤولية وضع قيود ومعايير للمفاضلة بين هذه الأنحاء . على أن هذه القيود والمعاييرينبغي أن تنسجم وأهداف النظرية اللسانية . فمضمون الكفاية التفسيرية في النظرية التوليدية غيره في النظرية الوظيفية لاختلاف إطاريهما النظري والمنهجي . (14)

فقد برهن كاتز على أن قيود الكفاية التي فرضها تشومسكي على النماذج النحوية ينبغي النظر إليها داخل إطاره التصوراتي (Conceptualist Framwork ) ، ولا يمكن أن تكتسب مشروعيتها خارج هذا الإطار(15) . وبناءا عليه ، فلا شيء يلزم نحو مونطكيو (Montague Grammar) - مثلا - بأن يتقيد بقيد الواقعية النفسية بما أنه يندرج ضمن المقاربة الرياضية للظاهرة اللغوية التي تعتبر النظرية اللسانية نظرية للغات الطبيعية بمعزل عن متكلميها وليس نظرية للحالات الذهنية . كما لا شيء يلزم النحو التوليدي بأن يتقيد بمعيار الكفاية التداولية الذي يأخذ به النحو الوظيفي بما أنهما لا ينتميان إلى نفس الإطار النظري .ذلك لأن النظرية التي تنتمي إليها الأنحاء التوليدية ( كالنحو التوليدي بمختلف نماذجه ، والنحو المعجمي الوظيفي ، والنحو العلاقي والنحو المركبي المعمم ...) لا تبحث في قدرة المتكلم التواصلية ولا تفرض قيد الكفاية التداولية على أنحائها ، كما هو الشأن في النظرية الوظيفية .

ومن ثمة ، لا يمكن تقويم نموذج "بعين" نموذج آخر لا يجمعه بالأول نفس الإطار النظري . إذ ما يعنيه إجراء هذه المقارنة هو إخضاع النموذج إلى قيود لا يأخذ بها مبدئيا .

وهذا يعني ، فيما يعنيه ، أن هناك مجالين لتعدد النماذج النحوية : مجال النظريات اللسانية المختلفة ، ومجال النظرية اللسانية الواحدة .

فالتعدد قد يقع بالنظر الى طبيعة المقاربة المتبناة ، كتبني المقاربة النفسية، للظاهرة اللغوية أوالمقاربة الرياضية أو المقاربة الاجتماعية... كما يقع تعدد النماذج التي تتفق في طبيعة المقاربة المتبناة بالنظرإلى معاييراخرى كلها ضمن معيارالكفاية التفسيرية (معيارالواقعية النفسيةومعيارالكفاية الحاسوبية ومعيارالكفاية النمطية ...) (16).

وأهمية هذه المعايير تكمن في إتاحة الفرصة للنظرية اللسانية كي تختارالنموذج الاكفى صوريا وتمثيليا وتجريبيا ، فليست الغاية هي

بناء نموذج نحوي كيفما اتفق ، وإنما الغاية هي إقامة نموذج يمتازبخصائص صورية وتمثيليةوتجريبية تؤهله لان يبرمج في الحاسوب .إذ إن"محاكاة بعض العمليات المعرفية الدالة بواسطة الحاسوب بإمكانها أن تزودنا بمعطيات هامة عن العقل البشري " (17) .

بناءا على ماسلف ، نسجل مايلي :

1 - إن مفهوم النموذج النحوي لاينطبق على نحو من الانحاء الا إذا توافرت فيه مجموعة من الشروط ، نذكربعضها :

أ - أن يقوم على فكرة المحاكاة

ب - أن يصاغ صياغة صورية

ج - أن يرتبط بإطار نظري ، وأن يعكس جوهر مايريد فيه من افتراضات .

د - أن تندرج النظرية اللسانية التي ينتمي إليها في إطار برنامج علمي واضح .

وبالطبع ، فإن خلو الانحاء التقليدية - بمافيها النحو العربي - من هذه الخصائص يفقدها صفة "النموذج " . وينبني على هذا غياب أي وجه لاجراء المقارنة بين النحو العربي القديم والنماذج النحوية المعاصرة ، دون أن يعني ذلك إلغاءإمكان الإفادة من معطيات النحو العربي القديم (والأنحاء التقليدية عموما) في بناد النماذج الحديثة .

2 - إن الجهود التي يبذلها اللسانيون العرب ينبغي أن تتوخى أولا إقامة نموذج اللغة العربية النحوي . ولا يتأتى ذلك إلا بتكييف أهداف البحث اللساني وحاجات العالم العربي اللغوية من جهة ، واختيار العمل في إطار النماذج التي أثبتت كفايتها وجدارتها من جهة أخرى .

3 - إن هذه الجهود لا يمكن أن تؤتى ثمارها المرجوة إلا إذا تم دعمها بنظريات لاكتساب اللغة العربية وتعلمها ، وبإجراء اختبارات لسانية -نفسية على المتكلم العربي ، الأمر الذي يساهم في اختيار النموذج النحوي اللائق .

4 -إن غياب جهود اللسانيين المنصبة على اللغة العربية عن البرامج المقررة في الجامعات والمعاهد والمؤسسات التعليمية لمن شأنه أن يضعف الوعي بأهمية بناء النماذج النحوية وإسهامها في حل

معضلات اكتساب اللغة العربية وتعلمها .

5 - إن غياب الأبحاث الرامية إلى برمجة النحو في الحاسوب يشكل ثغرة أخرى في اللسانيات العربية ، من الأجدر التنبيه إليها والعمل على تداركها .

---

## الهوامش

(*) - ساهمت بهذا العرض تحت هذا العنوان في اليوم الدراسي المنعقد بكلية الآداب بمكناس يوم 25-10-91 والمخصص لموضوع : " اللسانيات العربية بين النظرية والتطبيق ".

(1) - الفاسي الفهري (1986 : 5 )
(2) - تشومسكي (1980 ب : 5 و 227 )
(3) - تشومسكي (1975 ب : 13 )
(4) - تشومسكي (1975 ب : 12 )
(5) - تشومسكي (1980 ب : 89 )
(6) - تشومسكي (1980 ب : 248 )
(7) - تشومسكي (1975 ب : 200 )
(8) - تشومسكي (1975 ب : 155 )
(9) - بالمريني ( 1979 ) المقدمة
(10) - تشومسكي (1986 : 11 )
(11) - بريزنن وكابلن (1982)
(12) -لمزيد من التفصيل ، انظر : (بروندونر : 1983 )
(13) - للتفصيل ، انظر (المتوكل : 1989 )
(14) - مزيد من التفصيل يمكن الاطلاع عليه في رسالتي "النحو الوظيفي وإشكال الكفاية " ، التي اقتبست منها بعض الفقرات المناسبة لهذا العرض
(15) - انظر للتفصيل (كاتز : 1981)
(16) - انظر الهامش (13)
(17) - ليكوف (1985 : 345 )

# البيبليوغرافيا

## أ - باللغة العربية :


- الفاسي الفهري ، عبد القادر (1986) .المعجم العربي .دار توبقال للنشر . الدار البيضاء
- المتوكل ، أحمد (1989) .اللسانيات الوظيفية : مدخل نظري . منشورات عكاظ . الرباط
- البوشيخي عز الدين ( 1989) .النحو الوظيفي وإشكال الكفاية . بحث لنيل دبلوم الدراسات العليا في اللسانيات . مرقونة . كلية الاداب . مكناس


## ب - باللغة الاجنبية :


- Berrendonner , A (1983 ) Cours critique de grammaire générative . Lyon . Presses universitaires de Lyon . France
- Bresnan, J and Kaplan, R (1982) M ( Grammars as mental representations of language ) in : Bresnan ed
- Bresnan, J - ed - (1982) The mental representation of grammatical relations. cambridge . MIT . Press.
- Chomsky, N (1975,b) Refléxion sur la langage Trad: J.milner, B.Vautherin, P.Fiald - édition Flammarion 1981.
- Chomsky N (1981,b) Rules and representations : Oxford. Basil. Blakwell.
- Chomsky, N (1986 ): Knowledge of language: its structure, origin and use. New-york. Praeger
- Katz, J. (1981) Language and other abstract objects Oxford. Basil. Blakwell.
-Lakoff, G (1987 ): Women, Fire and dangerous things. what categories reveal about the mind? Chicago. Univ. of Chicago Press.
-Palmarini, L (1979 ): Théories du langage, théories d' apprentissage. débat entre N, Chomsky et J, Piaget. Paris. édition du seuil.